تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه دراسة تحليلية لأحاديث من صحيح البخاري

إعداد

د/ منى عبد الله على فراج

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بنى سويف

تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه دراسة تحليلية لأحاديث من صحيح البخاري

منى عبد الله على فراج
قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بنى سويف
البريد الإلكتروني :monaaabdalla@yahoo.com

الملخص :

تناولت هذه الدراسة الأسلوب البديعى تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح فى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب صحيح البخارى ، وغاية هذه الدراسة أن تبرز الوظيفة الدلالية لهذا اللون البديعى فى الحديث النبوى ، وقد نظرت إليه من الجانبين :النظرى والتطبيقي ،ففى الجانب النظري يقدم عرضا مختصرا لمفهوم تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه عند البلاغيين ، أما الجانب التطبيقي، فدرس نموذجين من هذا الملحظ البديعي ، هما: تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح، وعرض أمثلة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لكليهما و قد خلصت الدرا سة إلى أن هذا الأسلوب البديعي يكتسب أهمية فى دراسته فى الحديث النبوي الشريف ،لأن لهذاالأسلوب البديعى أثر فاعل فى إضفاء المعنى البلاغى والجمالى على الحديث النبوى

الكلمات المفتاحية: تأكيد ، مدح ،و ذم

Confirming a thing in a manner similar to its opposite, an analytical study of hadiths from Sahih al-Bukhari

Mona Abdullah Ali Farrag
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies, Girls of Beni Suef
Email :dr.monaaabdalla@yahoo.com

Abstract :

This study deals with the bid'i method, confirming praise in a manner similar to slander, and confirming slander in a manner similar to praise in the hadiths of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, from the Sahih al-Bukhari book. The purpose of this study is to highlight the semantic function of this primitive color in the

Prophet's hadith. I have looked at it from both sides: theoretical and practical On the theoretical side, he provides a brief presentation of the concept of affirmation of praise in a manner similar to slander and its opposite among the rhetoricians. As for the practical side, he studied two examples of this Badi'i remark, namely: confirmation of praise in a manner simil manner similar to praise, and presentation of examples of the hadiths of the Prophet, peace and blessings be upon him For both

The study concluded that this Badi'i style acquires importance in its study in the noble Prophetic hadith, because this Badi'y style has an effective effect on imparting rhetorical and aesthetic meaning to the ar to slander and confirmation of slander in a hadith.

Key Words: Affirm, Praise, And Vilify

بسم الله الرحمن الرحيم

"المقدمة"

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً ، طيباً طاهراً ، مباركاً فيه ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونستعيذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ....

وبعد

فإن حديث رسول الله أفصح كلام العرب وأبلغهم ، وإن أسلوبه هو الأسلوب السهل الممتنع ، وبلاغته هي البلاغة القريبة البعيدة وفصاحته هي الفصاحة المعجزة الرائعة؛ وعن كلم النبي صلى الله عليه وسلم وفصاحته ما ذكره الجاحظ قائلا :(هو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ،وجل عن الصنعة ،ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تعالى قل يا محمد " وما أنا من المتكلفين" وهذا الكلام الذى ألقى الله به المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة ،وحسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ،ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا لاأحسن موقعا ولاأسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه،ولا أبين فى فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم)[1]

ولأن الحديث النبوي الشريف من بليغ ما أثر في لغتنا، لذا قد كثرت الدراسات حول بلاغته فتنورت وأنارت به، ولكن تبقى الحاجة ملحة ودائمة إلى دراسته والوقوف على أساليبه ،وبلاغته ،وتنوع فنونه ، هذا الذي حفزني إلى دراسة تختص بجانب من جوانبه البلاغية في محاسن الكلام، فوقع الاختيار على ظاهرة(تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه فى الحديث النبوي الشريف من كتاب صحيح البخاري دراسة تحليلية بلاغية)، وعلى الرغم من أهمية هذا اللون البديعى وأثره البلاغى على المعنى إلا أنه لم تفرد له دراسة علمية تلم شتات الموضوع ؛ لذا أردت أن أقوم بهذه الدراسة المتواضعة لبيان بلاغة هذا اللون البديعى فى الحديث النبوى الشريف.

---

١) ينظر البيان والتبيين للجاحظ تحقيق ا فوزي عطوى ج ٢ ص ٢٢١ دار صعب –بيروت عام ١٩٦٨م .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ،وثبت بأهم المصادر والمراجع.

أما المقدمة : وفيها بيان بأهمية الموضوع وسبب اختياره.

والتمهيد يشتمل على :

١- المعنى اللغوى والاصطلاحى لتأكيد المدح بما يشبه الذم وضده ومن تكلم عنه من علماء البلاغة .

٢- بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وضده .

أما المبحث الأول: فقد تناولت فيه تأكيد المدح بما يشبه نقيضه والأحاديث النبوية التى وردت فيها هذه الظاهرة وتحليلها .

والمبحث الثانى : : فقد تناولت فيه تأكيد الذم بما يشبه المدح والأحاديث النبوية التى وردت فيها هذه الظاهرة وتحليلها.

ثم الخاتمة والفهارس ،الخاتمة وتشمل أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال البحث أما الفهارس فتشمل فهرس المصادر والمراجع.

وفى الختام أتوجه إلى الله الكريم المنان ، بديع السموات والأرض ، بعملي هذا داعية المولي عز وجل أن يكون خالصا لوجهه الكريم ،والذى أرجو أن يزين لى به صحيفتي يوم الدين ، فأحتسب أجرى عنده ،فتوفيقي منه سبحانه وتعالى ،وقبوله لى منة وفضل من كرمه،فهو وحده الكريم ، والهادي إلى الصراط المستقيم.

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه وذريته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

د/ منى عبد الله على فراج

التمهيد

تعريف تأكيد المدح بما يشبه الذم ونقيضه :

١- بحث البلاغيون في دراساتهم البلاغية في علم البديع أسلوبي " تأكيد المدح بما يشبه الذم" و"تأكيد الذمِّ بما يشبه المدح" فنال هذا النوع من الفنون البديعية نصيبه من عناية البلاغيين القدماء والمحدثين على مر العصور، فتحدثوا عن مفهومه وجاءوا بالشواهد النثرية والشعرية له، ودراسة هذا الفن البديعي في هذا البحث تأتي مشاركةً لهذه الدراسات في محاولةٍ مني لفهم طبيعته من خلال دراسة تطبيقية وتحليلية له في بعض الأحاديث النبوية الشريفة ولعل من المناسب أنْ نُعرَف بهذا الأسلوب البديعي قبل تناوله في الأحاديث النبوية الشريفة ،ولا شكَّ في أن صورة التعريف به يجب أنْ تشمل المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي عند البلاغيين، ولذلك **أبدأ** بالمعنى اللغوي.

المعنى اللغوي

التوكيد والتأكيد: الوثيق، يقال: أكَّدَ العهدَ والعقدَ، وقد أكَّدْتَ الشيء ووكَّدْته وثقته، والتوكيد أفصح من التأكيد)[١]، **وأما المدح لغة فبالرجوع إلى المعجم العربى نجد** أن جذر الفعل مدح(يد ل على وصف محاسن بكلام جميل، ومدحه يمدحه مدحا أحسن عليه الثناء والأمدوحة :المدح).[٢]

وقد عرفه الجوهري (ت٣٩٣هـ)بأنه:(الثناء الحسن وقد مدحه وامتدحه بمعنى، وكذلك المدحة والمديح والأمدوحة، وتمدح الرجل: تكلف أن يمدح، ورجل ممدح: ممدوح جدا..)[٣]

---

١) ينظر لسان العرب لابن منظور مادتى "أكد"و"وكد" دار المعارف

٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ج ٥ ص٣٠٨، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ.

٣) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية: ج١ ص ٤٠٣؛ وينظر: القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى توثيق محمد البقاعى ج ١ ٢٤٨. دار الفكر العربي بيروت لبنان سنة ١٩٩٥م.

فالمدح هو الثناء خلاف الذم ،أما الذم لغة فهو (نقيض المدح يقال ذممته فهو ذميم...وأذامه أى أجاره وأذمه: أي وجده مذموماً ...وأذام الرجل: أتى بما يذم عليه...ورجل مذمٌ أي مذموم جد اً...وشيء مذَم أي معيب)[١] فهو يدل على صفات خلاف الحمد

المعنى الاصطلاحي:

هو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح ويعقبه بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى،أو أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقبه بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له[٢] ، وهو من الأساليب الرائعة التي وقف عليها علماء البلاغة الأوائل، وفصلوا الحديث فيه وفي أمثلته مطلقين عليه تسميات مختلفة، كالرجوع أو الاستثناء، أو تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهذا الأخير هو الأكثر شهرة واستعمالاً عند علماء البلاغة، فهم(يتناولون تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح في معرض واحد؛ ذلك لأ ن الموضوعين مبنيان على أسلوب بلاغي واحد وهو بناء حكم معنوي موهم بخلاف المقصود ثم الاستثناء منه بما يثبت غرض المتكلم)[٣] .

مسمياته :

وقد تعددت مسميات هذا اللون البديعى منذ أن استخرجه ابن المعتز (ت ٢٩٢هـ) وعده من محاسن الكلام ،فقد ذكره ولكنه لم يعرفه[٤] بل أورد له مثلا قول النابغة الجعدى[٥] :

فتًى كَمُلتْ أخْلاقُه غَيْرَ أنَّه ** جَوَادُ فما يُبْقِى من المَالِ بَاقِيًا**

---

١) ينظر:تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ج ٥ ص ١٩٢٥ ، ١٩٢٦.دار العلم للملايين ط٤ سنة ١٩٧٨.

٢) ينظر:نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ج٧ ص ١٢١، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر (د . ت) (د . ط) .

٣) ينظر: البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب د. كامل حسن البصير ص ٤٤٦، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ،ط٢ ١٩٩٦م.

٤) ينظر : البديع أبو العباس عبد الله بن المعتز شرح وتحقيق عرفان مطرجى ص ٦٢ مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر ط١ سنة ٢٠١٢م

٥) ينظر :ديوان النابغة الجعدى تحقيق عبد العزيز رباح ص ١٧٤ دمشق طبعة سنة ١٣٨٤هـ.

ولم يكتف أبو على الحاتمى (ت ٣٨٨هـ) بتسمية واحدة لهذا المصطلح ،بل أطلق عليه أكثر من تسمية فسماه مرة "الاستثناء" ،لأن حسنه المعنوي من أثر أداة الاستثناء التي يبنى عليها وسماه أيضا "تأكيد المدح بما يشبه الذم " ،ولم يعرفه بل قال فى باب "الاستثناء":(وأحسب أن أول من بدأ به النابغة الذبيانى فأحسن كل الإحسان فى قوله :

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ ** بِهِنَّ فُلُولٌ من قرَاعِ الكَتَائِبِ**(١)

فهذا تأكيد للمدح بما يشبه الذم)(٢) وسماه أبو هلال العسكرى"ت٣٩٥ه"(الاستثناء)(٣) (وذكر أبوبكر الباقلانى (ت ٤٠٣هـ) الاستثناء على أنه من أبواب البديع ولم يزد على ذلك سوي إيراده بيت النابغة الذبيانى شاهدا على هذ الباب .

أما ابن رشيق (ت ٣٥٢ ه) فقد أفرد باباً للاستثناء واستهله بالإشارة إلى تسمية ابن المعتز، وذكر بيتي النابغة شاهدا على هذا الباب(٤)، وذكره أسامة بن منقذ(ت٤٨٤هـ) باسم الرجوع والاستثناءفقال : (أعلم أن الرجوع والاستثناء هو أن تذكر شيئا ثم ترجع عنه)(٥) وهو ليس كذلك عند ابن أبى الاصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) إذ رأى أن الاستثناء غير تأكيد المدح ، إذ يقول: (وقد خلط المتأخرون باب الاستثناء بهذا الباب ،وكنت أري أنهما باب واحد ،إلى أن نبهنى عليه عند قراءته من ألفت له هذا

---

١) ينظر ديوان النابغة الذبياني: تحقيق كرم البستانى ص ٢٣ دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت (د.ط) سنة ١٩٦٣م

٢) ينظر :حلية المحاضرة فى صناعة الشعر لابن المظفر الحاتمى تحقيق د محمد جعفر الكتابى ج١ ص ١٦٢ دار الرشيد للنشر سنة ١٩٧٩م

٣) ينظر :الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال العسكري تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص ٤٠٨ عيس الحلبي ط١ سنة ١٩٥٢م

٤) ينظر العمدة لابن رشيق تحقيق محى الدين عبد الحميد ج٢ ص ٤٨ المكتبة التجارية الكبري (د.ط) سنة ١٩٦٣م.

٥) ينظر : البديع فى نقد الشعر لاسامة بن منقذ ص ١٢٠ مطبعة الحلبى (د.ط)و(د.ت).

الكتاب ،فرأيت إفراده منه)[١]،وأرى أنه لم يقصد بذلك الاستثناء جملة وتفصيلاً، وإنما أراد ما دخل من الاستثناء في موضوع المدح بما يشبه الذم أو عكسه، فليس كل استثناء مدحاً بما يشبه الذم أو عكسه ويصح العكس.

وأدخله السكاكي(ت٦٢٢ه)في التحسين المعنوي[٢]،وقال بدر الدين بن مالك (ت٦٨٦هـ)عن تأكيد المدح بما يشبه الذم : (أن تنفي عن الممدوح وصفاً معيباً ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أنك ستثبت له ما يذم به فتأتي بما من شأنه أن يذم به وفيه المبالغة بالمدح)[٣]وسماه العلوى (ت٧٤٩هـ)التوجيه[٤]وذكر أنه يرد في البلاغة على استعمالين:[٥]

الأول: أنْ يؤكد المدح بما يكون مشبهاً للذم، بأن تنفي عن الممدوح وصفاً معيناً ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أنك استثنيت ما يذم به فتأتي بما شأنه أنْ يمدح به وفيه المبالغة في مدح الممدوح، ومنه قول النابغة السابق .

الآخر: أنْ يمدح شيء يقتضي المدح بشيء آخر كقول المتنبي:

نَهَبْتَ مِنَ الأعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ** لَهُنِئَتِ الدُّنْيَا بأنَّكَ خَالِدُ**[٦]

فإن مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذا كَثر قتلاه بحيث لو ورث أعماره لخلد فى الدنيا .

وقال ابن الأثير الحلبى(ت٧٣٧هـ):(حقيقة هذا النوع أن يكون الإنسان آخذاً في مدح فيستثني في بعضه فيعتقد السامع أنَّ ما بعد الاستثناء يكون

---

١) ينظر تحرير التحبير لابن أبى الاصبع المصري تحقيق حنفى محمد شرف ص ١٣٤ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية –لجنة إحياء التراث الاسلامى بالقاهرة (د.ط) سنة ١٩٦٣م.

٢) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي ضبطه وشرحه نعيم زرزور – ص ٢٠٢ دار الكتب العلمية بيروت لبنان (د.ط)و(د. ت).

٣) ينظر المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع بدر الدين بن مالك الاندلسي . ص ١٠٩ المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٤١هـ

٤) ينظر :الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ا ج ٣ ص ١٣٦ مطبعة المقتطف القاهرة ١٩١٤م .

٥) ينظر : المرجع السابق ص ١٣٦ – ١٣٧.

٦) ينظر شرح ديوان المتنبي للمعري ج٣ ص ٢١٢

نوع ذم أو عيب في الممدوح استثنى منه المادح في مدحه،فإذا تكملة الاستثناء توجب تأكيداً للمدح الأول قطعا له)[١] ، وسماه آخرون المدح في معرض الذم كما فعل ذلك ابن معصوم المدنى [٢]، وسماه آخرون "النفي والجحود"[٣] ، وسماه بعض أهل التفسير ب (تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه أو ضده [٤] وتناوله البلاغيون بعد ذلك بالدراسة[٥].

ب- بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه

تقوم بلاغة هذا الفن البديعي في الأصل على مباغتة السامع بخلاف ما يتوقعه، ذلك لأنَّ المتكلم عندما يسوق صفة مدح ثم يورد أداة استثناء يتوقع السامع أن يسمع منه صفة ذم بحكم هذه الأداة التي تفيد أنَّ ما بعدها يأتي بخلاف ما قبلها حكما ومفهوما ، أما حينما يسمع مدحا أخر فإنَّه يُباغت ويقع في حالة الشعور بما طلع عليه من أمر توقع نقيضه وخلافه وكذلك عندما يتلقى صفة ذم بعدها أداة استثناء يتوقع أنْ يسمع صفة مدح ترشحها أداة الاستثناء، ولكنه يسمع صفة ذم أخرى يشعر بخيبة توقع ويباغت بخلاف ما تهيأ له يقينا [٦].

---

١) ينظر : جوهر الكنز لابن الأثير الحلبى تحقيق محمد زغلول سلام ص ٢٠٦ منشأة المعارف بالأسكندرية (د.ت)و(د. "ط)

٢) ينظر :أنوار الربيع فى أنواع البديع لابن معصوم المدنى تحقيق شاكر هادى شكر ج ٦ص ٢٧ مطبعة النعمان ط١ سنة ١٩٦٩م.

٣)ينظر : المرجع السابق نفس الصفحة

٤) ينظر: التحريروالتنويرللطاهربن عاشور ج١٧ ص ٢٢٥ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ .

٥)) ينظر الإيضاح للقزوينى تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ج ٦ ص ٧٤-٧٥ دار الجيل بيروت ط٣ (د.ت) ومعترك الأقران فى إعجاز القرآن للإمام جلال الدين السيوطى تحقيق محمد على البجاوى ج١ ص ٢٩٨دار الفكر العربى . و لإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى تحقيق مركز الدراسات القرآنية ج٣ ص٣٦٥-٣٦٦ مطبعة الأمانة العامة للشئون العلمية . و المطول سعد الدين التفتازانى تحقيق عبد الحميد هنداوي ص ٤٣٩دار الكتب العلمية بيروت ،ط١سنة ١٩٨٨م.....

٦) ينظر فنون بلاغية (البيان والبديع) ، د. احمد مطلوب ، ص ٣٠٨ -٣٠٩ دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٥م

ففي هذين اللونين طرف من الخلابة، وهما مشتملان على عنصري المفاجأة والمباغتة، فتأتي النتيجة فيهما غير متوقعة، وعلى خلاف ما تفيده المقدمات، وهذا يثير الفكر، ويوقظ العقل، ويشوق النفس، ويدفع إلى التأمل والتدبر والاندماج في خبايا الأسلوب لكشف الحقيقة لذلك فإنَّ هذا الفن البديعي يرتبط بخيال السامع ؛ لأنَّ المتكلم سوف يصدمه صدمة إيقاظ وتحريك للفكر ، بمعان غير ملائمة مع المرجعية السياقية التي يرسمها السامع لنهاية النص عندما يسمع بدايته ، وبذلك يكون اثر المعنى في السامع أقوى وأكثر إحساسا وتعجبا به ، ومما يلاحظ في هذا الفن تحول دلالة الاستثناء النحوي إلى دلالة أخرى تخالف العرف، اللغوي ، وهذا هو السبب المباشر في جذب انتباه السامع نحو هذا الفن البديعي ؛لأن حسنه المعنوي من أثر أداة الاستثناء التي يبنى عليها[١]

(ولقد احتل هذا اللون البديعي "تأكيد المدح بما يشبه الذم" منزلة سامية فى البلاغة العربية ،وذلك لما فيه من خلابة وطرافة تجذب انتباه السامعين ،وتخلع على الكلام ثوبا لطيفا يخفى وراءه معنى قويا مبالغا فيه ؛ولذالك فالعرب من قديم الزمان تعتمد عليه وتتخذه طريقا لإصابة الهدف وبلوغ المقصود والمراد)[٢]

ويرى الأستاذ أمين الخولي أنَّ أهمية هذا الفن تكمن في (السر النفسي لذلك فيما يظهر وهو ما في هذا الأسلوب من معنى المباغته والمفاجأة التي تكسبه طرافة وتثير حوله تنبيها ، وسواء أكانت هذه الطرافة تقوم على اتصال الاستثناء أم يتحول معها منقطعا فإنَّ المباغتة هي الأصل ، لا ملاحظة الاستثناء وحالته)[٣]

---

١) ينظر: البلاغة العربية ، د. احمد مطلوب ص ٣٠٢ ، منشورات مكتب الزهراء ، بغداد ط١ سنة ١٩٨٠

٢) ينظر : وشي الربيع بألوان البديع د عائشة حسين فريد ص ١٣٤ دار غريب للطباعة والنشر

٣) ينظر : مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي : ١٩٧ ، دار المعرفة ، ط١ سنة ١٩٦١ م.

فضلاً عما يحملانه للمتلقي أو السامع من المفاجأة، فإن المتكلم عندما ينطق بأداة الاستثناء أوالاستدراك يتوقع المتلقي أن المستثنى سيكون مغايراً ومخالفاً للمستثنى منه، ولكن ما إنْ يكمل قراءة العبارة حتى يأتي المستثنى مؤكداً للمستثنى منه، فتكون المفاجأة والمباغتة التي ترفع الأستار عن الحقائق لتكسب المعاني طرافة، ولتثير في النفوس استحساناً وبهجة، وبهذا يتأكد المدح في أسلوب تأكيد المدح عندما يؤتى بما يوهم السامع أنه ذم فيتبين أنه مدح أيضاً، ويتأكد الذم في أسلوب تأكيد الذم عندما يؤتى بما يوهم السامع أنه مدح فيتبين أنه ذمٌ كما أن فى هذين اللونين البديعيين نوعا من التأكيد والتقوية(في إثبات المراد مدحاً أو ذماً، فبعض ضروبهما يفيد التأكيد من ناحيتين: أنه إثبات للشيء ببينة وبرهان، بتعليق وجوده على المحال، وأن النطق بأداة الاستثناء يوهم أن ما بعدها مخرج مما قبلها ، ولكنه هنا يأتي من جنسه ؛ لذا يكون مؤكداً ومقرراً له، فإن كان مدحاً تأكد المدح، وان كان ذ ماً تأكد الذم، وبعض ضروبهما يفيد التأكيد من ناحية الاستثناء، وعلى كلٍّ ففي الأسلوبين تأكيد وتقوية ..... واللونان يساعدان على ربط الكلام، ويعملان على تقوية أواصر العلاقة بين مفرداته من خلال الاستثناء الذي يجعل ما قبله شديد الصلة بما بعده، إذ بهما تكتمل الفائدة ويتحدد المراد)[1]

وقد جعل السلجماسي بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وضده تكمن فى المبالغة فى أداء المعنى المراد يقول : (وورود المدح فى صورة الذم هو إشعار بأن الممدوح قد حصل فى رتبة من يُشتم حسدا له على فضله ،وبذِه أبناء جنسه ،لأن الفاضل هو الذى يُحسد ويُوقَع فى عِرضه والناقص لا يلتفت إليه.....فمِن قِبل هذا كان له من المبالغة أكثر مما لو جري الأمر فى

١) ينظر : ينظر دراسات منهجية فى علم البديع د/ الشحات محمد أبو ستيت ص ١٩٤– ١٩٥ دار خفاجى للطباعة والنشر ط١ سنة ١٩٩٤م

ذلك على المجري الطبيعي...وورود الذم أيضا فى صورة المدح هوأشد على المذموم من لفظ الذم بعينه ،فإن فى ذلك مع الذم نوعا من الهزء)[١]

واذا كان عنوان هذين اللونين يوحي بقصرهما على معاني المدح والذم إلا أن التحقيق يبين عدم اقتصارهما على ذلك، فيأتيان في المعاني كافة، وقد نبه العلامة التفتازاني على هذا الأمر الدقيق، فذكر أن هذه التسمية جارية على الأعم الأغلب، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم، ويكون من محسنات الكلام، وبناءً على هذا اختار التفتازاني أن يسمي هذا الأسلوب تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه[٢]،وهي تسمية جديرة بالقبول؛ لأنها تجمع اللونين تحت عنوان واحد، يشمل معاني المدح والذم وغيرهما

****

١) ينظر : المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع للسلجماسي تحقيق علال الغازي ص٢٩٦ ،٢٩٧ مكتبة المعارف بالرباط ط١ ١٩٨٠م.

٢) ينظر : المطول سعد الدين التفتازانى تحقيق عبد الحميد هنداوي ص ٤٣٩دار الكتب العلمية بيروت ،ط١سنة ١٩٨٨م.و التحرير و التنوير ج٣ ص ٥٨.

المبحث الأول
تأكيد المدح بما يشبه الذم

وفي هذا النوع يتم نفي صفة الذم ثم يستثني صفة المدح، فهو من التوكيد المعنوي، إذ يزيد وضوح المعنى، ويزيل التردد فيه بتوكيده. وتسمية هذا اللون بتأكيد المدح بما يشبه الذم باعتبار الأعم الأغلب؛ لأنه يقع في غير المدح والذم، كما سنرى فى بعض الأمثلة التى سنعرضها ، ومن هنا يحسن أن يسمى تأكيد المدح بما يشبه نقيضه[١]ويبدو أن بنية هذا الأسلوب البديعي تنطلق من (ذم أو مدح) ثم استثناء ثم (مدح أو ذم)، فيكون الذكر الثاني رجوعاً بعد الاستثناء لتأكيد الذكر الأول.

وهذا الفن على ثلاثة أضرب:[٢] الأول: وهو أن يستثني فيه من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح له، بتقدير دخول صفة المدح المستثناه فى صفة الذم المنفية ، وجعل هذا الضرب الأبلغ والغاية القصوى في المدح كقوله تعالى: لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا"(الواقعة ٢٥،٢٦)، فصفة الذم المنفية عن الجنة هى: اللغو والتأثيم ،قد استثنى منها صفة مدح وهى التسليم وقول السلام ،أى أن أهل الجنة لا يسمعون فيها لغوا ولا هزلا ولا إثما أبدا إلا قول السلام ،إن كان ذلك لغوا وهزلا وذما أو عيبا ،وكون قول السلام هزلا محال ،فيكون ثبوت اللغو والتأثيم ووجوده فى الجنة محالا ،فكأنه فى المعنى تعليق على المحال ،فيكون ذلك تأكيدا لمدح الجنة وخلوها من اللغو ومن التأثيم بطريقة تشبه الذم .

وكقول النابغة الذبياني:

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ ** بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ** [٣]

---

١) ينظر : المطول ص ٤٣٩،و التحرير والتنوير ج ٣ ص ٥٨

٢) ينظر: الإيضاح :،232والتلخيص:،330وشروح التلخيص :،332/3وعلوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) للمراغي:،353وشي الربيع بالوان البديع، د. عائشة حسين :،130-133

٣) ينظر : ديوان النابغة الذبياني.:ص ٦٨

فالعيب صفة ذم منفية ،استثنى منها صفة مدح وهى أن سيوفهم ذات فلول – إن كانت عيبا– وكون الشجاعة عيبا محال ،فيكون ثبوت العيب لهم مستحيلا ، فليس فلول السيف من العيب؛ لأنه محال، فهو كناية عن كمال الشجاعة، فالعلة البلاغية فيه أنه مدح على مدح فهو (أبهى وأفخم أنواع المدح ولعل السر النفسي بذلك فيما يظهر هو ما في هذا الأسلوب من معنى المباغتة والمفاجأة التي تكسبه طرافة وتثير حوله تنبيها)[١] ولقد بين المراغي النكتة البلاغية فيه بقوله: « وفي هذا الأسلوب تأكيد من وجهين :

الأول: أنه كدعوى أقيم عليها الدليل والبرهان إذ كأنه استدل على نفي العيب عنهم بتعليق وجوده على وجود ما لا يكون وما لا يتحقق بحال من الأحوال.

الثاني: أن الأصل في الاستثناء الاتصال فإذا ما تلفظ المتكلم بـ(غير) أو (إلا) أو نحوهما دار في خلد السامع قبل النطق بما يذكر بعدها أن الآتي مستثنى من المدح السابق وأنه يراد به إثبات شيء من الذم وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحا على مدح في أبهى قالب وآنق منظر)[٢]

ومن هنا تبدو أهمية عنصر المفاجأة لتأثيره في السامع، إذ يذهب به مذهبا آخر غير ما يتوقع السامع لما ألفه في أسلوب الاستثناء من تغاير لما بين المستثنى والمستثنى منه فإذا به يتفاجأ لتشابه الطرفين على غير المألوف أي غير ما يتوقعه السامع .

والعلة البلاغية فيه أن التأكيد فيه من الوجه الثاني أي أن (هذا النوع أقل من الأول في الجمال والحسن؛ لأنه أفاد التأكيد من جهة واحدة وهي أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبلها فإذا ذكر

١) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن ص٨٤.

٢) ينظر : علوم البلاغة للمراغي: ٣٥٥، ٣٥٣ ، وينظر: حاشية الدسوقي:ج٤ ص ٣٨٨.

بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يفيد التأكيد أنه كدعوى الشيء بالبرهان والدليل كما في النوع الأول)[١]

وهذا النوع هو أرقى الأنواع الثلاثة فى البلاغة وأفضلها لأنه أفاد التأكيد من جهتين كما سبق إيضاحه .

الثانى: وهو أن يثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له[٢] من هذاقوله تعالى:" لَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ"(الحج ٤٠)

فقد أثبت صفة مدح للمهاجرين وهى أنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق مغلوبين على أمرهم ثم أتى بعدها بأداة استثناء فأشعر ذلك وأوهم أنه سيأتى بصفة ذم بعدها، ولكنه وصفهم بأنهم مؤمنون بالله ، وهذا من صفات الكمال ،فيكون مدحا على مدح وهذا يفيد التأكيد .

فظاهر الاستثناء أن ما بعده سيكون صفة تقتضى إخراج المهاجرين ولكننا وجدنا أن صفة مدح تقتضى الإكرام لا الإخراج فيكون ذلك تأكيدا للمدح بما يشبه الذم .

و قول النابغة الجعدي:

فتًى كَمُلتْ أخْلاقُه غَيْرَ أنَّه ** جَوَادُ فما يُبْقِى من المَالِ بَاقِيًا**[٣]

فقد أثبت له كمال الأخلاق ،ثم استثنى فأوهم أنه سيثبت صفة مغايرة لما تقدم ولكنه أثبت صفة مدح أخرى وهى االجود، فتأكد المدح بمدح آخر جاء على خلاف ما يتوقع السامع . .

وهذا النوع أقل بلاغة من سابقه ،ذلك لأنه أفاد التأكيد من جهة واحدة وهى أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى موهم إخراج شيء بها مما

١) ينظر : البديع في ضوء أساليب الق آ رن: ٨٥
٢) ينظر الإيضاح ج ٦ ص ٧٧
٣) ينظر: ديوان النابغة الجعدي ص ١٧٤

قبلها ،فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ،ولا يفيد التأكيد – هنا – أنه كدعوى الشيء بالبرهان والدليل كما فى النوع الأول؛بل هو تأكيد مجرد عن هذه الدعوى .

النوع الثالث: هو أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولاً لفعل فيه معنى الذم، فيكون الاستثناء مفرغا ، وسمى بذلك لأن العامل الذى فيه معنى الذم والمتقدم على أداة الاستثناء قد تفرغ للعمل فيما بعد أداة الاستثناء وهو هنا – المستثنى الذى فيه معنى المدح (١).

ومن ذلك قوله تعالى " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ "(المائدة ٥٩)

فالاستفهام فيه إنكارى بمعنى النفى فيصير مؤداه :لا تنقمون منا إلا أن آمنا بالله (٢)

وهذا النوع من حيث الأفضلية مساو للنوع الأول ؛لأنه يفيد التأكيد من الجهتين السابقتين ،إذ المعنى فى الآية الكريمة :لا عيب فينا إلا الإيمان بآيات الله ،وبما أنزل إلينا وبما أنزله من قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إن كان هذا عيبا .

(والصورة التركيبية لهذا النوع من حيث كونه استثناء مفرغا هى التى جعلته نوعا ثالثا فى العد والسرد ،وإن كان مساويا للأول فى الأفضلية والأبلغية)(٣).

فالمتكلم إذا أعطاك صفة مدح ثم جاء بعدها بأداة استثناء غلب على ظن السامع أو القارىء ودار فى ذهنه أنه سيأتى بصفة مخالفة لما قبل أداة الاستثناء – أى صفة ذم – ولكنه يسحره بالبيان ويأتى بصفة مدح فيقلب

١) ينظر الإيضاح ج ٦ ص ٧٨ والهامش
٢)ينظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة
٣) ينظر : وشي الربيع بالوان البديع ص ١٤٣

الظن ،ويغير التفكير ويؤكد صفة المدح الأولى فيشعر بأسلوب جديد وطريف.

وفي ضوء ما تقدم يمكننا تتبع بعض من الأحاديث النبوية التي تحتضن هذا الأسلوب البديعي،وبيان كيف تناول شُرَّاح الحديث النبوي الشريف هذا اللون البلاغي وقد جاء تعليقهم عليه موافقا لما ذهب إليه علماء البلاغة .

فمنه ما جاء في حديث عروة قال:(قال لي عبد الملك بن مروان حين قُتِل عبد الله ابن الزبير ، يا عروة هل تعرف سيف الزبير ؟ قلت: نعم ، قال: فما فيه؟ قلت: فيه فُلّة[1] فُلَّها يوم بدر، قال :صدقت:(بهنَّ فُلول من قراع الكتائب) ثم ردَّه على عروة)[2]

فقد روى أن معركة بدر جمعت الزبير بن العوام– رضي الله عنه – برجل من صناديد الكفر وهو عبيدة بن سعيد بن العاص الذي كان يلقب بأبى ذات الكرش ،فلما التقى به الزبير كان الرجل مدججا بالدروع لا يري منه إلا عيناه ،فضربه الزبير رضى الله عنه برمح قصير فاخترق الرمح عينيه فمات على الفور ،وروى أن الزبير رضى الله عنه وضع رجله على أبى ذات الكرش ونزع الرمح فخرج بصعوبة بعد أن انثنى طرفه وبهذا كانت هذه هى الفلة التى فلها سيف الزبير فى غزوة بدرفقد روى البخاري (عن هشام بن عروة عن أبيه قال :"قال الزبير :لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يري منه إلا عيناه وهو يكنى أبا ذات الكرش فقال أنا أبو ذات الكرش ،فحملت عليه بالعنزة فطعنته فى عينه فمات ،قال هشام :فأُخبرتٌ أن الزبير قال : لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن

---

١) فُلّة : الفَلّة : هى واحدة فلول السيف ،وهى كسور فى حده،وفله يفله أى كسره لسان العرب مادة فلل

٢) ينظر صحيح البخارى كتاب المغازي باب قتل أبى جهل جهل حديث رقم ٣٩٧٣.

نزعتها وقد انثنى طرفاها ،قال عروة :فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاها ،فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ،ثم طلبهاأبو بكر فأعطاها ،فلما قبض أبو بكر سألها عمر فأعطاها إياها ،فلما قبض عمر أخذها ،ثم طلبها عثمان منه فأعطاها إياها ،فلما قتل عثمان وقعت عند آل على فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل)[١]

وقد ورد (أن عروة كان مع أخيه عبد الله بن الزبير لما حاصره الحجاج بمكة ،فلما قتل عبد الله أخذ الحجاج ما وجده له وأرسله إلى عبد الملك بن مروان وهو خليفة بدمشق ،فكان من ذلك سيف الزبير الذى سأل عبد الملك عروة عنه قائلا : يا عروة هل تعرف سيف الزبير ؟ قلت: نعم ، قال: فما فيه؟ قلت: فيه فُلّة .....الحديث)[٢]

فالحديث الشريف من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم فى قوله : ، قال: فما فيه؟ قلت: فيه فُلّة فلها يوم بدر.....الخ ،فالفلة نقص وعيب فى السيف ولكنها هناجاءت من قبيل المدح لأن هذا النقص وتلك العيب دليل على قوة صاحبه، وقد أشار العيني إلى المصطلح البلاغي (تأكيد المدح بما يشبه الذم) فقال :(أي قال عبد الملك لعروة : (صدقت) ثم قال قوله: (بهنَّ فُلول من قراع الكتائب) وهذا مصراع بيت أوله : ولا عيب فيهم غير أنَّ سيوفهم ، وقائله النابغة الذبياني، وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم)[٣]

وقال ابن حجر العسقلاني:(هو من المدح في معرض الذم،لأنَّ الفُلّ في السيف نقص حسي ، لكنّه لمّا كان دليلا على قوة ساعد صاحبه كان من جملة كماله)[٤]

---

١) ينظر صحيح البخارى كتاب المغازى باب شهود الملائكة بدرا حديث رقم ٣٩٩٨.
٢)ينظر فتح البارى ج١٥ ص ٢٥٦.
٣) ينظر عمدة القارى ج ١٧ ص ١٢١
٤) ينظر فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٠

فإن يكن فلول السيوف بسبب الحرب والنزال ومقارعة الأعداء فهـذا إثبات للشجاعة بالدليل الحسي المشاهد، فلا تفل السيوف إلا من شدة المنازلة وقوة المقارعة.

وفي حديثٍ آخر عن الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم عنْ أَبي سَعيدٍ وأَبي هُرَيْرة رضيَ اللَّه عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ:(مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غـمٍّ، حتَّـى الشَّـوْكَةُ يُشَاكُها إِلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه)[1]

فمعنى هذا الحديث: أن ما يُصاب به المسلم من أمـراض وهمـوم وأحزان وكروب ومصائب وشدائد وخوف وجزع إلا كان ذلك كفارة لذنوبه وحطا لخطاياه. وإذا زاد الإنسان على ذلك: الصـبر والاحتسـاب، يعنـي: احتساب الأجر، كان له مع هذا أجر. فالمصائب تكون على وجهين: تارة : إذا أصيب الإنسان تذكر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب، وزيادة الحسنات. وتارة يغفل عن هـذا ، فيضـيق صدره، ويصيبه ضجر أو ما أشبه ذلك، ويغفل عن نيـة احتسـاب الأجـر والثواب على الله، فيكون في ذلك تكفير لسيئاته، إذًا هو رابح على كل حال. فإما أن يربح تكفير السيئات، وحط الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينو شيئًا ولم يصبر ولم يحتسب الأجر، وإما أن يربح شيئين: تكفير السيئات، وحصول الثواب من الله عز وجل كما تقدم. ولهذا يعلمنا النبـي صـلى الله عليه وسلم ما ينبغي للإنسان أن يفعله إذا أصيب حتى ولو بشوكة، فليتذكر احتساب الأجر من الله على هذه المصيبة، حتى يؤجر عليها، مع تكفيرهـا للذنوب. وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالي وجوده وكرمـه، حيـث يبتلـي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى أو يكفر عنـه سـيئاته ، ومـن المعلـوم

١) رواه البخاري كتاب المرضى باب ما جاء فى كفارة المريض حديث رقم ٥٦٤١.

بالضرورة أن الحط للخطايا يحصل للصغائر، دون الكبائر التي لا ترفعها إلا التوبة النصوح.

فالحديثِ تَسليةٌ للمؤمنِ فيما يُصِيبُهُ من مصائبِ الدُّنيا ومن الأمراض؛ فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ خير له، وقوله صلى الله عليه وسلم :"مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ" لم يحدد نصباً معيناً فـ "مِن" إذا سَبقت النكرةَ –نصب–في سياق النفي تجعلها نصاً صريحاً في العموم،أياً كان سبب التعب، وخص المسلم؛لأن ذلك لا يكون لغيره،فالكفار(أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ"(إبراهيم١٨)

والحديث الشريف من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم فالسامع عندما يسمع قوله :" :"مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ....." يتوهم أن فيه ذم بعد ذكر هذه الأنواع ، ولكن بعد أداة الاستثناء تأتي صفة المدح في قوله:" كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه" وذلك لتأكيد المدح، وأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم أبهى وأفخم أنواع المدح ،ولعل السبب فى ذلك ما يظهر من الأسلوب من معنى المفاجأة التى تكسبه طرافة وتثير حوله الانتباه والتى نلحظها فى الحديث الشريف .

هذا وقد تضافرت وتلاحمت الألوان البديعية فى هذا الحديث الشريف فإلى جانب ما فى الحديث الشريف من تأكيد المدح بما يشبه الذم نجد فيه حسن التقسيم ومراعاة النظير،فالحديث الشريف قد جمع بين ثلاثة أزواج متناظرة أولها :"النصب والوصب"وثانيها :"الهم والحزن" وثالثها:" الأذي والغم" ،وقد رُوعى فى الجمع بين أفرادها وجوه بديعية من التناسب والتلاؤم ،مبنية على ما بينها من فروق لغوية دقيقة ، فالنَّصب هو التعب الناشئ عن جهد صدر من صحيح البدن ، والوصب هو المرض ،فهو وجع متولد من سقم البدن ،فجمع ذلك بين مصاب صحيح الجسد وآخر سقيم غير صحيح، ولا يخرج الإنسان المصاب من حيّز هذين القسمين ، والفرق بين النصَب

والوصَب هو أن النصب: هو التعب، والوصب: هو الوجع الدائم أو المرض.

أمّا الهمُّ فمكروه يَرِدُ على القلب من تَوقّع أذي قابل – في المستقبل – وأما الحزن فيكون على أذى ماض ، وأمّا الغمُّ فبما هو حاصل في الحال. فجمعٍ في ذلك بين أزمنة المصائب الثلاثة ،واستوفى بذلك قسمتها الزمنية.

ويلاحظ أن الوصب والنصب يصيب غالباً البدن، وأما الهم والحزن فهو يصيب النفس،فهو اعتلال النفس .

وأما الأذي فاسم جنس يندرج تحته ما يصيب الإنسان من ضرر بدنى أو وجدانى ،ولا يتقيد بزمن معين خلافا للباقين ، وهو ما يشهد له الاستعمال القرآنى لهذه اللفظة كما نرى فى قوله تعالى " فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ " (البقرة ١٩٦).

والفرق بين الهم والحزَن هو: أن الهم هو الاغتمام من أمر المستقبل أما الحزن هو: الاغتمام من أمر فائت أى إنسان حصل له شيء من قبل ، فذِكرُه هنا من قبيل عطف العامّ على الخاص ،فهو يشمل الأنواعِ السالفة وغيرها ممّا لم يُذكر.[١]

وإذا تأمّلنا تنكير هذه الأنواع من المصائب ، ومجيئها في سياق صلة الموصول "ما" المفيدة للعموم، تبيّن لنا أن هذا المحسّن البديعي قد جاء معززا للوظيفة التي سيق من أجلها الكلام، ومقررا لحقيقة فى الأذهان وهي أن المصائب بتفاوت أقدارها وتعدّد أزمنتها وتنوّع محالّ حصولها لا تخرج عن موعود هذا الحديث النبوي بحصول الأجر الجزيل من الرب الجليل، فإن لتأكيد المدح بما يشبه الذم فى الحديث النبوى الشريف وظائف دلالية عديدة تأتى فى سياق استيفاء متطلبات مقتضى الحال ،ولم يقتصر أثرها على

١) ينظر :عمدة القارى ج٢١ ص ١٦٦وفتح الباري ج ١٠ ص١٠٣ وإرشاد السارى ج١٢ ص ١٢٢ بتصرف

مجرد التحسين المعنوى الظاهري ،إذ إن كفاءة تأكيد المدح بما يشبه الذم تقاس بمدى قدرته على توظيف دلالة التأكيد – التى هى عماده– بما يثرى المعنى ويتيح تصويره لذهن المتلقى بطريقة أكثر جلاء وإقناعا ، وقد وظف هذا اللون البديعى فى هذا الحديث الشريف لإفادة العموم والشمول ،وذلك فيما ذكر من أقسام وأنواع المصائب التى قد تحل بالمسلم ،فذكر جميع الأوصاف ،واستوفى كل الأفراد مما زاد من بلاغة هذا الحديث النبوي الشريف.

ومما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا اللون البديعى ما روي عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا حَسَدَ إلا في اثنتين : رجلٌ آتاه الله مالاً فَسُلِّطَ علي هلكتِه في الحق ، ورجلٌ آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويُعَلِّمُها " (١)

لقد حذرنا الإسلام من الحسد والحاسدين ،ونهانا عن الاتصاف بها، لأن الحسد صفة مذمومة ولا يصح لمسلم أن يتصف بها ، وعلمنا الإسلام أن نعتصم بالله تعالي كي يحمينا من أذى الحاسد . قال تعالي (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(سورة الفلق).

كما ذم هذه الصفة ، وجعلها من الآفات التي تحبط أعمال الحسود وتذهب بحسناته ، وصوره بصورة النار التي تأكل الحطب ، فالحسد مذموم، أما الغبطة فهي محمودة وقد تسمي المنافسة، فإن كانت في الطاعات فهي عمل محمود . قال تعالي (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين ٢٦) أما إذا كانت الغبطة في معصية فهو عمل مذموم ولا تنافس في هذا.

والحديث الشريف الذي نحن بصدده يبين لنا أنه لا غبطة أعظم ولا أفضل من الغبطة في أمرين الأول : رجل آتاه الله مالاً فسلط علي هلكته

١) رواه البخارى كتاب العلم باب الاغتباط فى العلم والحكمة حديث رقم ٧٣

في الحق ، بأن ينفق ماله في سبيل الله ، وفي الخير أي في الطاعات والوجوه المشروعة، ولا بدأن يكون هذا المال الذي يغتبط عليه صاحبه مجموعاً من الحلال لقوله صلى الله عليه وسلم " (رجل آتاه الله مالاً) فأسند إتيان المال إلي الله تعالي ليدل علي أنه لا بد أن يكون مالاً حلالاً .

والأمر الثاني الذي يحل فيه الغبطه فهو " رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقد قيل إن المراد بالحكمة هنا هو القرآن الكريم وفي ذلك يقول العيني:(قوله" الحكمة " المراد بها القرآن الكريم والله أعلم كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه " لا حسد إلا في اثنين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار ...الحديث)[1]

ولفظ (الحسد) فيها أيضاً مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن المراد هنا هي الغبطة وليس (الحسد) فقد أطلق الحسد وأراد به الغبطة من قبيل إطلاق اسم المسبب علي السبب ، والقرينة أن الحسد الحقيقي ، وهو تمني زوال نعمة المحسود وصيرورتها إلي الحاسد ،لا يباح أصلا فكيف يباح تمني زوال نعمة الله تعالي عن المسلمين القائمين بحق الله تعالي فيها !.

يقول العيني (فإن قلت ما في هذين الاثنين غبطة وهوغير الحسد، فكيف يقال لاحسد ؟ قلت : أطلق الحسد وأراد الغبطة من قبيل إطلاق اسم المسبب علي السبب ، وقيل إن معني الحسد هنا شدة الحرص والرغبة ، كني بالحسد عنهما لأنهما سببه والداعي إليه.)[2].

وقد آثر لفظ (الحسد) – مع أنه مذموم –علي لفظ (الغبطة) مع أنه ممدوح للإشارة إلي أن في (الغبطة) شائبة من الحسد ، وهو التطلع إلي ما عند الغير وبهذا يكون الحاصل عليها حب المنافسة ، ومن غير شك أن المنافسة في الخير ممدوحة ، ولكن هناك درجة أرقي منها ، وهي إرادة

١) ينظر : عمدة القارئ ١ / ٤٣٩

٢) ينظر عمدة القاري ج ١ ص ٨٦.

الخير لذات الخير ، لا لمنافسة الغير فيه ، لأن المنافسة قد تحمل علي الحسد عند الإخفاق فيها ، بخلاف إرادة الخير لذات الخير[١]

وقوله صلى الله عليه وسلم"لا حسد إلا فى اثنتين "أسلوب قصر طريقه النفى والاستثناء والقصر بطريق النفي والاستثناء يحصر المعني في هذا الإطار الموجز الواضح الذي ينطوي في إيجازه علي مالا حصر له من المعاني ، والحديث الشريف من قبيل المدح فى معرض الذم ،لأن "لاحسد" صفة ذم منفية يعقبها أداة استثناء تليها صفة مدح "إلا فى اثنتين....الحديث" فكان تأكيدا للمدح ،فصفة الذم المنفية فيها معنى المدح ثم عقبها بأداة استثناء ثم صفة مدح أخري فكان مدحا على مدح .

ومعنى قوله "لا حسد إلا فى اثنتين"(لا إباحة فى شيء من الحسد إلا فيما كان هذا سبيله ، أى:لا حسد محمود إلا هذا،وقيل أنه استثناء منقطع بمعنى:لكن فى اثنتين)[٢]

ويقول الكرمانى : (فى الحديث الشريف تخصيصا لإباحة نوع من الحسد وإخراجا له من جملة ما حظر منه وإنما رخص فيهما لما يتضمن مصلحة فى الدين .....ويحتمل أن يكون من قبيل قوله تعالى" لاَ يَذوقونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأولَى"(الدخان ٥٦)[٣]

فالكرمانى جعل هذا الحديث الشريف من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو على شاكلة الآية الكريمة، فالآية بشارة لأهل الجنة بخلودهم فيها، إذ نفى عنهم ذوق الموت، واستثناء الموتة الأولى من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده، زيادة في تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أهل الجنة فكأنه

١) ينظر من بلاغة النظم العرى د عبد العزيز عرفة ج ٢ ص ١٦ عالم الكتب ط٢ سنة ١٩٨٤م.
٢) ينظر عمدة القارى ج١ ص ٨٦.
٣) ينظر : صحيح البخاري بشرح الكرمانى ج ٢ ص ٤٣ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط٢ سنة ١٩٨١م.

قيل: لا يذوقون الموت البتة، يعني إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها فإ نهم يذوقونها، لكنها ليست كذلك لمضي وقتها في الدنيا)[1].

فكما أن الآية كانت زيادة فى تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أهل الجنة وكأنهم لا يذوقون الموت البتة ،فكذلك الحسد لاحسد إلا فى هاتين الخصلتين ،وهما لا حسد فيهما أيضا فلا حسد أصلا.

والحديث خبر فى معنى الإنشاء ،والنهي أى لا تحسدوا ،فهو يخبر بأنه لا شيء يستحق الحسد من النعم التى تزول بزوال الدنيا وإنما الذي يستحق الحسد والغبطة هو ما سخره الله تعالى من النعم لرفعة الدرجة فى الآخرة الباقية ،فأورد النهى فى صورة الخبر لسرعة الامتثال للأمر لوضوحه وبيان الحكمة منه، أى لا ينبغى أن يقع حسد على الفانى وإنما الحسد على الباقى والغبطة عليه.

ومن أنواع تأكيد المدح بما يشبه الذم : أنْ يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.[2]

ومن أمثلة ما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الضرب قوله صلى الله عليه وسلم :(أَنَا أَفْصَحُ العَرَبِ بَيدَ إِنِّيْ مِنْ قُرَيْشَ وَنَشَأَتَ فِيْ بَنِيْ سَعْدَ بِنْ بَكْرٍ)

فقوله صلى الله عليه وسلم "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد"، لم يكن هذا فتخارا منه ، وإنما كان تقريرا لحقيقة ثابتة، فالنبي صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب وأفصح قريش، تنثال المعاني الرفيعة من فمه الكريم انثيال السيل، لا يدانيه في ذلك قائل، ولا يباريه خطيب وهو هكذا في كل حالاته، سواء أقال كلاماً مرسلاً أم اعتلى منبراً للخطابة، أم حاور محدثيه.

١) ينظر التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣١٩.
٢) ينظر الإيضاح ج ٦ ص ٧٧

وبلاغته صلى الله عليه وسلم هذه جاءته وراثة واكتساباً، وراثة من بلاغة بني هاشم في قريش، واكتساباً من بني سعد الذين رضع في باديتهم،(فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة، ورونق كلامها ،إلى التأييد الإلهي الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشري) [١] ،ومما زاد فضله في البيان أنه علم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في بلاغتها،وقد سأله يوماً أبو بكر عن سر فصاحته بقوله: ما رأينا الذي هو أفصح منك، فأجاب صلى الله عليه وسلم قائلاً: وما يمنعني وقد نزل القرآن بلساني، لسان عربي مبين.

وقد وصف الجاحظ كلامه صلى الله عليه وسلم بقوله : (هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، وتنزه عن التكلف ، استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي)[٢].

(ولا نعلم أنَّ هذه الفصاحة قد كانت له صلى الله عليه وسلم إلا توفيقا من الله وتوقيفا ، إذ ابتعثه للعرب وهم يقادون من ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة ،.... فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم ، ثم لايكون إلاَّ أفصحهم خطابا ، وأسدَّهم لفظا ، وابينهم عبارة ، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب ، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم)[٣] .

---

١) ينظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى أبى الفضل عياض ص ١٢٤ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط١ سنة ٢٠١٣م.

٢) ينظر البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٨٥.

٣) ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعى ص ٢٨٢ دار الكتاب العربي ط٩ سنة ١٩٧٣م

ففي هذا الحديث الشريف جاءت صفة المدح المثبتة (أفصح) فوصف نفسه صلى الله عليه وسلم بالأفصحية على العرب وهذه من صفات الكمال ،فلما أتى بأداة الاستثناء(بيد) أوهم السامع بأنه سيأتى بصفة مخالفة لما أتى بها قبل الآداة ، لما هو معلوم من أن ما بعد أدة الاستثناء لابد أن يكون مخالفا لما قبلها، فلما قال "أنى من قريش" وقريش كما نعلم أفصح العرب كان ذلك مدحا مضافا إلى مدح فأثبت فصاحته بأسلوب فيه تأكيد وتقوية كما أن فيه مباغتة السامع ولفت انتباهه.

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أنْ يكون منقطعا لكنه باق على حاله لم يُقَدَّر متصلا فلا يفيد التأكيد إلاَّ من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين[1] ،وهو أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى موهم إخراج شيء بما قبلها ،فإذا ذكر بعد الآداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يفيد التأكيد من جهة أنه كدعوى الشيء بالبرهان والدليل ،ففى الحديث الشريف توقع السامع أن تأتي صفة ذم لكنَّه صلى الله عليه وسلم أورد صفة مدح ثانية هي انتسابه إلى قريش فاللغة القرشية هي أفصح اللغات وألينها ؛ لأن قريشا كانوا أهل تجارة ، وكانوا يضربون في الأرض ، وكانت لهم رحلة الشتاء والصيف ، ثم كانت تتوافد إليهم قبائل العرب في الموسم وتختلط بهم في الأسواق ، وخاصة في عكاظ ، فلا بد أن يكون في ألسنتهم كثير من ألفاظ العرب[2].

ومما ورد من هذا اللون البديعى من الأحاديث القدسية عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى:" مَا مِن عَبْدٍ مِن عِبَادي تَوَاضَعَ لِي عِندَ خَلْقِي إلا وأنا أدْخَلتَهُ جَنَتِي" "

١)ينظر الإيضاح ج ٦ ص ٧٧

٢)ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٢٠

يتوهم السامع عندما يسمع أو يقرأ الحديث أن صفة المدح التي ذكرت في قوله :" تواضع لي" والإتيان بأداة الاستثناء بعدها أنه سيذكر بعد الأداة صفة ذم إلا أنه ذكر صفة مدح أخري" أدخلته جنتى" ، وهذا تأكيد للمدح لأنه مدح بعد مدح : ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى هذا اللون البديعى أيضا ما روى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا أحبَّ اللهُ عبدًا وأراد أن يُصافِيَهُ ، صبَّ عليهِ البلاءَ صبًّا ، وثجَّه عليهِ ثجًّا ، فإذا دعا العبدُ قال : يا ربَّاهُ ! قال اللهُ : لبَّيكَ عَبدي لا تسألُني شيئًا إلَّا أعطيتُكَ إما أن أُعجِّلَه لكَ ، وإما أن أَدَّخِرَه لكَ)[١]

فلما جاء في الحديث صفة مدح بعدها أداة استثناء توهم السامع أنه سيأتي صفة ذم إلا أنه جاء بصفة مدح أخري للتأكيد على استجابة الله لعبده وعدم رده سِفْر اليدين فتأكد المدح لأنه مدح على مدح.

ومنه أيضا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(مَا مِن امْرِيءٍ مُسْلِم تُصِيْبُهُ مُصِيَبةٍ تُحْزِنهُ فَيَرجِعُ إلا قال الله عز وجل لملائكَتِه أرجعتَ قلبَ عَبْدِى فَصبَرَ واحْتَسَبَ اجْعَلُوا ثَوَابَه منها الجَنَّة وما ذكر مُصِيبَةً فَرَجِعَ إلا جَدَدَ الله لهُ أجْرَهَا)[٢]

يتوهم السامع عندما يسمع قوله صلى الله عليه وسلم :" ما من مسلم تصبه مصيبة" يظن أن فيه ذم ولكن بعد أداة الاستثناء تأتي صفة المدح في قوله:" اجعلوا ثوابه الجنة" وأيضاً في قوله:" جدد الله له أجرها" وذلك لتأكيد المدح ،فقد استثنى من صفة المدح المنفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها .

وطرائق تأكيد المدح بما يشبه الذم ونقيضيه تشمل:١- الاستثناء وقد مرت أمثله

١) ينظر : جامع الأحاديث القدسية ، ج ٣ ص ٥٧.
٢) ينظر جامع الأحاديث القدسية ج ٣ ص ٥٨

٢- الاستدراك .

والاستدراك بلكن يأخذ حكم الاستثناء فى باب "تأكيد المدح بما يشبه الذم"وذلك كقول بديع الزمان الهمزانى فى المدح:

هوَ البَدرُ إلا أنهُ البَحْرُ زَاخِرًا ** سِوَى أنَّهُ الضِّرغَامُ لَكِنَّهُ الوَبِلُ**

فالاستثناء الأول "إلا" والثانى"سوى" والاستدراك بلكن كلها بمعنى واحد فى باب "تأكيد المدح بما يشبه الذم"فلكن أفادت ما أفادته "إلا"و"سوى"والاستدراك بها مثل الاستثناء بغيرها .

ومما ورد عن الرسول الكريم في هذا الفن البديعي أيضا ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِيء وَلكِنَّ الوَاصِلُ الَّذِيْ إذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)[١]

ففي هذا الحديث الشريف ينفي الرسول الكريم عن الشخص المكافيء صفة صلة الرحم ؛ لأن الذي يكافئ الواصل بالوصل هو إنسان يردُّ الجميل ويجزي بالمعروف، لأنَّه يقابل الزيارة بالزيارة ، ثم يعقبها بأداة الاستدراك(لكن)ثم جاء بصفة مدح ، وهي أنَّ الوصل الذي يكون من إنسان يصل أقرباءه، وهم يقطعونه ،إنَّ هذا هو الواصل الحقيقي لرحمه، لأنَّ ذلك يدل على حرص هذا الرجل على فعل الخير وإصراره عليه)[٢]،يقول العيني: (ليس الوصل أن تصل من وصلك ذلك القصاص ولكن الوصل أن تصل من قطعك ،وهذا حقيقة الوصل الذى وعد الله عباده عليه جزيل الأجر قال تعالى" وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ" (الرعد٢١)[٣]،وفى ذلك

١) ينظر صحيح البخاري كتاب الأدب باب ليس الواصل بالمكافيء

٢) ينظر : التصوير الفنى فى الحديث النبوي ص ٤٣١.

٣) ينظر عمدة القاريء ج٢٢ ص ١٤٩.

حث على التحلى بمكارم الأخلاق كقوله تعالى " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "(فصلت ٣٤).

ومثل هذا الحديث أيضا ما روي عن أبي هريرة رضى الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(لَيْسَ المِسْكِيْنُ بِهَذَا الطَّوّافِ الَّذِيْ يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرَدُه اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ المِسْكِيْنَ الَّذِيْ لاَ يَجِدُ غِنًى يَغْنِيهِ، وَلاَ يَفْطنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئَاً)[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم : ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان بمعنى: ليس المسكين كامل المسكنة، الذي ترده التمرة والتمرتان؛ لأن مثل هذا يسأل الناس، ويصرح بمسألته، ويتعرض لهم، ولا يجلس في بيته، فيعطونه ما يرفع عنه حد المسكنة، لكن المسكين حقيقة كما قال النبيﷺ: وإنما المسكين يعني: كامل المسكنة، المسكين حقيقة الذي يستحق الوصف الكامل من المسكنة هو الذي يتعفف،ومعنى يتعفف يعني يترك السؤال.

فهذا الحديث يرشد المسلم إلى الأحق والأولى بالرعاية والإحسان، والصدقة، والبر والصلة، وهم هؤلاء الذين يتعففون، وفى الحديث أيضا ما يدل على حسن الإرشاد لوضع الصدقة ، فعلى المتصدق أن يتحري وضعها فيمن صفته التعفف دون الإلحاح.

ففي هذا الحديث نفى النبي الكريم أن يكون المسكين هو السائل الذي بيّنَ صفته، ثم جاء بأداة استدراك هي لكن، تليها صفة مدح ، وهي أن المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا ، هذا تعريف دقيق للمسكين تضمن عنصر المباغته والمفاجأة ، لأنَّه جاء على وجه لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يتوقعونه، فهذه صورة في وصف المسكين وتعريفه فلقد بدت في غاية الدقة والجمال.

---

١) ينظر صحيح البخاري كتاب الزكاة باب قول الله تعالى "لا يسألون الناس إلحافا"ح رقم ١٤٧٩.

ومن هنا كان أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم أبهى وأفخم أنواع المدح ،ولعل السبب فى ذلك ما يظهر من الأسلوب من معنى المفاجأة التى تكسبه طرافة وتثير حوله الانتباه.

****

المبحث الثانى تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو عكس ما ذكر في تعريف المدح بما يشبه الذم، أي أن تذم أولاً ثم توهم أنك ستمدح لكنك تذم ثانياً، وهو من التوكيد المعنوي ففيه يتأكد الـــذم ويزال التردد ويزداد وضوح المعنى، وهو قليل في الأدب العربي، فلم يكثر الشعراء منه وتناولوه خفيفا، وأمثلة الشعر منه، على عكس تأكيد المدح بما يشبه الذم، لكنه يتنوع مثله إلى ثلاثة أنواع (١)

النوع الأول: أنْ يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم ثابتة بتقدير دخولها في صفة المدح المنفية، كقوله تعالى:" لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًاوَغَسَّاقًا"(النبأ٢٤،٢٥)،فما قبل "إلا"نفى لذوق البرد والشراب ، وما بعدها إثبات لذوق الحميم والغساق وكلاهما ذم .

وتأكيد الذم فى هذا النوع جاء من ناحيتين :

الأولى أنه كدعوى الشيء بالبينة والبرهان ، والثانى :أن الأصل فـــى الاستثناء الاتصال فإذا ما تلفظ المتكلم ب "إلا" دار فى خلد السامع قبل النطق بما يذكر بعدها أنى الآتى مستثنى من الذم السابق فإذا أتى بعدها صـــفة ذم أخري تأكد الذم لكونه ذما على ذم .

النوع الثاني: أنْ يثبت للشيء صفة ذم، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له.

مثل قول القائل : لئيم الطباع سوي أنه جبان يهون عليه الهوان، فأثبت للشخص المذموم صفة اللؤم قبل "سوى" وصفة الجبن بعدها .

فالتأكيد فى هذا النوع من وجه واحد – كما علم فى النوع الثانى مـــن تأكيد المدح بما يشبه الذم مع الاختلاف فى الغرض .

---

١) ينظر: الإيضاح: ٢٣٢،والتلخيص:٣٣٠،وشروح التلخيص: ٣/٣٣٢،وعلوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) للمراغي:٣٥٩،وشي الربيع بالوان البديع، د. عائشة حسين: ١٣٣،١٣٥

الثالث: أنْ يؤتى بمستثنى فيه الذم معمولا لفعل فيه معنى المدح، ويكون الاستثناء حينئذٍ مفرغاً،كقولنا لا يحمد من السفيه إلا التبذير ، ولا يستحسن من الكذاب إلا الغش.

وهذا النوع على نسق النوع الثالث فى باب المدح بما يشبه الذم مع الاختلاف فى الغرض المقصود .

كما نستنتج أن بنية تأكيد الذم بما يشبه المدح هي نفسها بنية المدح بما يشبه الذم،إلا أن الفرق يتولد من دلالته على الذم بما يشبه المدح.

ومما ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الفن البديعي قوله صلى الله عليه وسلم عندما أُخبر أنَّ ابن جميل امتنع عن دفع الصدقة فقال : (مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيْل إلاَّ أَنَّهُ كَانَ فَقِيْرَاً فَأَغْنَاهُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ)[1]

إن النفس البشرية جلبت على الشح وحب التملك، والشيطان يعدها الفقر ويأمرها بالبخل، وقليل منها الذى يجود من تلقاء نفسه ،ومن هنا طلب الله تعالى من رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من أموال الأغنياء حقوق الفقراء قال تعالى :" "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "(التوبة ١٠٣) ،فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب حقوق الفقراء ويبعث السعاة والعمال إلى القبائل لجباية الزكاة ، وكان يختار لهذه المهمة كبار المسلمين لبعد الشبهة عنهم من جهة ، ولقوة إيمانهم وقوة شخصيتهم من جهة أخرى فيستحى منهم من يستحى ويخشاهم من يخشي ، وكان من هؤلاء السعاة العاملين على جمع الزكاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى خرج بأمر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القوم لطلب الزكاة فمر بابن جميل وقد أغناه الله بعد فقر،فقد آتاه الله من الإبل والبقر والغنم ما شاء، طالب عمر- رضى الله عنه - ابن جميل بحق الفقراء ،فبخل وتولى

١) ينظر : صحيح البخارى جزء من حديث كتاب الزكاة باب قوله تعالى"وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله "حديث رقم ١٤٦٨.

وأعرض وامتنع عن الدفع ،فشكا عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن جميل وقال:(مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيْلٍ إلاَّ أَنَّهُ كَانَ فَقِيْرَاً.....الحديث) أى كيف ينسي أنه كان فقيرا فأغناه الله ، فقوله صلى الله عليه وسلم "ماينقم"أى لا ينكر ولا يعاب عليه لعلة من العلل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله ،فلا ينكر عليه إلا لإغناء الله ورسوله له ،فقد كان ابن جميل فقيرا فأغناه الله ورسوله بما جلبه الإسلام عليه من أسباب الرزق بوفرة الغنائم فى الغزوات ،فالإغناء من شأنه أن يكون صفة مدح ،ولكنه مع هذا الرجل– الذى امتنع عن أداء حق الفقراء – صفة ذم لأنه اقترن بالنكران والجحود ،ولا شك أن الإغناء مع النكران والجحود يدل على طبع ردىء وخسة ،وهذا من صفات الذم ،فلما استثنى ذلك من قوله "وما ينقم" تأكد الذم على وجه أبلغ إذ المقام يقتضي التنفير والتحذير من تلك الصفة .

والنكتة البلاغية هنا أن المتكلم يظهر وكأنه يبحث عن شىء ينقض حكمه الخبرى بعد " ما ينقم" فذكر شيئا هو من مؤكدات الحكم للإشارة إلى أنه استقصى فلم يجد ما ينقضه، يريد بذلك : أنَّه لا ينقم عليه شيئا إلاَّ أنَّه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله ، وكون الغنى نقمة محال (فيكون ذلك من باب التعلق بالمحال كما نقول : لا افعل هذا الأمر حتى يبيض القار ، أو حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط) [١]، وبذلك يكون تأكيد الذم في هذا النص من جهة أنه كدعوى أقيم عليها الدليل والبرهان[٢]، فكأنَّه قد استدل على أنَّه لا ينقم عليه بأنَّ ثبوت النقمة عليه معلقة بكون الغنى نقمة ،وهذا لا يتحقق بحال من الأحوال.

---

١)ينظر :دراسات فى البلاغة العربية عبد العاطى غريب علام ص ٢٠١ منشورات جامعة بنغـــازي ط١ سنة ١٩٩٧م

٣٢) ينظر وشى الربيع بألوان البديع ص ١٣١

٣٣) رواه البخارى فى كتاب الأحكام باب من استُرعى رعية فلم ينصح حديث رقم ٧١٥١

ومما ورد أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا اللون البديعى حديث مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيّ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ".(١)

فقوله صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً): أي يستحفظه ويجعله راعياً عليهم، وهذا يشمل الرعاية العامة كرعاية الحاكم والأمير، والخاصة كرعاية الرجل على أهل بيته،فهذه الصيغة تدل على العموم؛ لأن "عبد" نكرة في سياق الشرط، وهذا يشمل كل عبد صار له هذا الوصف، يعني استرعاه الله رعية سواء كان ذلك بإمامة عظمى، أو فيما دون ذلك، قال القرطبي – رحمه الله– :(قوله صلى الله عليه وسلم " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً" الحديث هو لفظ عام في كل من كُلِّف حفظ غيره، كما قال صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، وهذا الرجل في أهل بيته والولد والعبد، والرعاية: الحفظ والصيانة، والغش ضد النصيحة، وحاصله راجع إلى الزجر عن أن يُضيَّع ما أُمر بحفظه، وأن يقصِّر في ذلك مع التمكن من فعل ما يتعين عليه)(٢)

فكل من استرعاه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لهم، بمعنى أنه لم ينصح لهم، أى أهمل وقصّر، فكتم عنهم أموراً يحصل بها الضرر، ولم يحطهم بنصحه ورعايته، ولم يقم عليهم بما يجب، يموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة.

---

٢) ينظر :المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبى ت محى الدين ستو و يوسف بديوي و محمود إبراهيم بزال و أحمد السيد ج١ ص ٣٥٣،– ٣٥٤ دار بن كثير بيروت ط١ سنة ١٩٩٦م .

أما قوله"وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةُ): الغش ضد النصيحة، وعدم القيام بما فيه نجاتهم مع قدرته، ومعنى غش الراعي للرعية: هو تضييع ما أوجب عليه من رعايتها في أمر دينها ودنياها، فالحديث الشريف اشتمل على صفة ذم وهى" غاش" ثم أتى بأداة استثناء تليها صفة ذم أخري وهى" إِلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةُ" وفى هذا تأكيد للذم بالذم ، و تحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئا من أمرهم واسترعاه عليهم ،فإن من خان ما أؤتمن عليه فضيع ما أوجب عليه من رعايتها فى أمر دينها ودنياها فقد غشهم واستحق بذلك الحرمان من الجنة يقول ابن حجر العسقلانى:(وقوله" وهو غاش "قيد للفعل مقصود بالذكر يريد أن الله إنما ولاه على عباده ليديم لهم النصيحة لا ليغشهم حتى يموت على ذلك ،فلما قلب القضية استحق أن يعاقب)[١]

ومما ورد أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا اللون البديعى ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ((ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها)[٢].

هذا الحديث الشريف يعطينا صورة لما كان يتصف به النبى صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق فقد صدق فيه قوله تعالى: " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"(القلم ٤) فقول عائشة رضي الله عنها وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه "أى ما غاضب أحدا لنفسه قط ،فقد نفت الانتقام عنه صلى الله عليه وسلم لنفسه وأثبتت بطريق الكناية أن انتقامه ممن انتقم منهم كان لله ولحرمات الله ،ثم أتى التصريح بذلك بعد أداة الاستثناء فهذا تأكيد

١) ينظر :فتح البارى ج ١٣ ص ١٢٨.

٢) رواه البخاري فى كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٣٥٦٠

الوصف بما يشبه نقيضه ، وهذا خلق رفيع عال يحتاج الإنسان أن يروض نفسه عليه، ثم أتى بأداة الاستثناء "إلا"فتوهم السامع أن القطع فى الكلام ،وأن الاستثناء سيؤدى إلى ذكر ما ينتقم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ؛إلا أن صدمة المفاجأة تحدث عند استئناف الكلام مؤكدا الكلام عن طريق بيان ما يؤدى إلى انتقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو انتقامه لا لنفسه وإنما لانتهاك حرمة من حرمات الله تعالى فينتقم أى فيعاقب حينئذ بسبب تلك الحرمة ،وانتهاك حرمة الله أى تناولها بما لا يحل ،يقال فلان انتهك محارم الله أى فعل ما حرم الله فعله عليه ،فإذا انتهكت حرمات الله كأن يقع إنسان فى كفر أو فعل فاحش أو يفعل شيئا نهى الله عنه ، أنتقم منه النبي صلى الله عليه وسلم ،وامر بإقامة الحد عليه ،فهو ليس انتقاما بالمعنى الذى نفهمه ،وليس فيه تشف ،وإنما هذا الانتقام هو لحد من حدود الله عز وجل على هذا الإنسان الذى وقع فى الخطيئة .

ففى الحديث الشريف صفة ذم "ما انتقم" استثنى منها صفة ذم أخرى وهى انتهاك حرمة من حرمات الله ،وهذا المستثنى معمول للفعل الذى فيه معنى الذم على الاستثناء المفرغ قال النَّوويُّ: (قولها: – أى راوى الحديث وهى عائشة رضى الله عنها–(إلَّا أن تُنْتَهك حُرْمَة الله) استثناء منقطع، معناه: لكن إذا انتُهِكت حُرْمَة الله، انتصر لله تعالى، وانتقم ممَّن ارتكب ذلك، وفي هذا الحديث الحثُّ على العفو والحِلْم واحتمال الأذى، والانتصار لدين الله تعالى ممَّن فعل محرَّمًا أو نحوه)[1]

وهذا النوع من تأكيد الذم بما يشبه المدح الذى يكون فيه الاستثناء مفرغا ويكون العامل مما فيه معنى الذم والمستثنى مما فيه معنى الذم أيضا.

وسره البلاغى أن المتكلم يظهر كأنه يبحث عن شئ ينقض حكمه الخبرى ونحوه فلم يجد ، فيذكر بعد الاستثناء شيئا هو من مؤكدات الحكم

١) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ٨٤ المطبعة المصرية بالأزهر ط١ سنة ١٩٢٩م

للإشارة إلى أنه استقصى فلم يجد ما ينقضه أو بحث عن شـــيء انـــتقم لـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا انتقم له رسول الله لنفسه ،وإنما انتقامه دفاعا عن الحق وعن انتهاك حرمات الله ،فكان ذلك تأكيدا للذم بمـــا يشبه المدح .

ومما ورد من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا اللون البديعى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ" فإنه مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" (١)

فى هذا الحديث الشريف ما يدل على أهمية أتباع الرسول صـــلى الله عليه وسلم ، والاقتداء به، والتمسك بسنته، والتزام طريقته، فالابتـــداع فـــي الدين خطره عظيم، ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ضررها جســـيم؛ ولذلك كان من أهم الضوابط التي وضعها الإسلام للزوم الجماعـــة: الحـــث على ملازمة السنة والتمسك بها، والنهي عن البدعة والتحذير منها، وقد بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك فى أكثر من حديث منها الحـــديث الذي نحن بصدده ومنها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال:(مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَـــى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِـــي يَضْـــرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَـــيْسَ مِنِّـــي وَلَسْتُ مِنْهُ)(٢) .

---

١) رواه البخارى كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم"سترون بعدى أمـــورا تنكرونهـــا" حديث رقم ٧٠٥٣ ،و ٧٠٥٤.

٢)أخرجه: مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حـــال وتحريم
الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، حديث رقم ١٨٤٨ .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ ،وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ " . (١)

كما أن الشارع جعل دم المفارق للجماعة حلالا، فعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّب الزَّانِي، والنَّفْس بِالنَّفْسِ، والتَّارِك لِدِينِهِ الْمُفَارِق لِلْجَمَاعَة)(٢)

وغير ذلك كثير مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وذم فيه التفرق وحذرنا منه ، فالإسلام لم يأت بالفرقة وإنما جاء بضدها من الألفة والاجتماع ولكن على الحق،وهذا هو مفترق الطريق فالاجتماع مشروط بكونه على الحق ،والخلاف مشروط بكونه إلى الحق ؛ولذلك بدأ النبى صلى الله عليه وسلم حديثه بقوله " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر.....الخ"أى فليصبر على ذلك المكروه ولا يخرج عن طاعته لأن فى ذلك حقن الدماء وتسكين الفتنة إلا أن يكفر الإمام ويظهر خلاف دعوة الإسلام فلا طاعة لمخلوق عليه، ثم بين صلى الله عليه وسلم السبب فى أمره بالصبر على المكروه بقوله " فإنه من فارق الجماعة ....الخ" أى جماعة الإسلام وخرج عن طاعة الإمام ،وهى صفة مذمومة ،ثم بين أن الخروج عن الإمام مكروه حتى ولو بأقل شيء فقال (شبرا) أى من خرج عن الإمام ولو كان بشيء يسير بقدر شبر ولفظ "شبر"هنا كناية عن خروجه

١) أخرجه: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم ٢٢٠٢.

٢) أخرجه: مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، حديث رقم١٦٧٦.

ولو كان بأدنى شيء يقول العيني:(" شبرا" كناية عن معصية السلطان وحاربته)[١]

وقوله "فمات" أى مات على ماهو عليه من معصية وهى مفارقة ما عليه الجماعة ثم أتى بأداة الاستثناء فقال "إلا مات ميتة جاهلية" أى كموت أهل الجاهلية حيث لم يعرفوا إماما مطاعا يقول القسطلانى :("مات ميتة جاهلية" بكسر الميم كالجلسة بيان لهيئة الموت وحالته التى يكون عليها أى كما يموت أهل الجاهلية من الضلالة والفرقة ...وليس المراد أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا .....ويقول أيضا أى مات على هيئة كان يموت عليها أهل الجاهلية لأنهم كانوا لا يرجعون إلى طاعة أمير ولا يتبعون هدى إمام بل كانوا مستنكفين عن ذلك مستبدين بالأمور)[٢]

(ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلية وإن لم يكن هو جاهليا أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد)[٣]، وبذلك يكون الحديث الشريف قد اشتمل على صفة ذم قبل أداة الاستثناء وهى مخالفة ومفارقة الجماعة والموت على تلك الصفة، ثم أتى بصفة ذم أخري بعد أداة الاستثناء وهى (ميتة جاهلية) فـ "من" فى قوله صلى الله عليه وسلم (من فارق الجماعة) بمعنى "ما" النافية أى ما فارق الجماعة أحد إلا كان له هذا الجزاء يقول الكرمانى : (فإن قلت :إلا مات مستثنى فما وجهه قلت: من للاستفهام الإنكاري أى ما فارق أحد الجماعة إلا جري له ذلك) [٤]

فالحديث الشريف جاء بصفة ذم أولا ثم أتى بأداة استثناء وعقب بعدها بصفة ذم أخري ،فبعد أداة الاستثناء يتوقع السامع أن تأتى صفة مدح ،ولكن

١) ينظر عمدة القارى ج ٢٤ ص ١٧٨.
٢) ينظر إرشاد السارى ج ١٥ ص٨
٣) ينظر فتح البارى ج ١٣ ص ٨
٤) ينظر صحيح البخارى بشرح الكرمانى ج ٢٤ ص ١٤٧.

جاءت صفة ذم أخري وهى أنه مات على هيئة موت أهل الجاهلية على ضلال ليس له إمام مطاع ،فإذا أتبع أداة الاستثناء صفة ذم أخري تبدد توهم السامع بهذه المفاجأة التى لم يتوقعها ، ومن هنا يأتى التوكيد لما فيه من ذم على ذم .

ومن الأحاديث القدسية ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى :(ما من عبد من عبادي تكبر على خلقي إلا وأنا أدخله ناري وما من عبد من عبيدي استحيا من الحلال إلا ابتلاه الله بالحرام)[1]

فقد جاء في الحديث صفة ذم "تكبر " بعدها أداة استثناء مما جعل السامع يتوهم أنه سيأتى بصفة مدح إلا أنه أتى بعد أداة الاستثناء صفة ذم أخري وهى "أدخله ناري" وهذا تأكيد الذم للذم .

ولاشك في أن ما تقدم من مفردات هذه الدراسة يكشف عن أن أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه يكتسب أهمية خاصة في دارسته كملحظ بديعي في البلاغة العربية من جهة، وكملحظ مهم في الكشف عن الأسلوب التركيبي لهذا الفن ومعرفة وظائفه الدلالية فى الحديث النبوى الشريف .

وفى نهاية البحث اتذكر قول القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى لما قال:(إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه ؛إلا قال فى غده :لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل، هذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)

****

١) ينظر جامع الأحاديث القدسية مجلد ٣ ص ١٣٧ ح رقم ٨٧٢.

الخاتمة

الحمد لله الخالق من العدم ،الواهب الإنسان صنوف النعم ، المستحق الشكر فى البدء والمختتم ، والصلاة والسلام على سيد الخلق المرسل إلى أشرف الأمم ،وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين أما بعد:...

فقد انتهيت بحمد الله وتوفيقه من إعداد هذا البحث (تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه فى بعض من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من صحيح البخاري)،وهو بحث لا أدعى فيه الكمال، فالكمال لله وحده ، ولكنى أذكر أننى اجتهدت وعانيت وصابرت ،والله من وراء القصد ، وفى ضوء هذه الدراسة أستطيع أن أرصد النتائج الآتية:

١- قام البحث بدراسة آراء البلاغيين لمصطلح تأكيد "المدح والذم "وبيان آرائهم التي ذكرت عند القدامى منهم ، والتي أصبحت الأساس في تكوين هذا المصطلح، وقد رأيت أن البلاغيين لم يختلفوا في تحديد مدلول هذا المصطلح، ولكنهم أطلقوا عليه تسميات عدة منها تأكيد المدح بما يشبه الذم، والرجوع والاستثناء والتوجيه ....الخ.

٢- أري أن بعضاً من علماء البلاغة وأهل التفسير عند ذكرهم لمصطلح الذم ،فإنهم لا يفرقون في تحليلاتهم بين تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، فيطلقون مصطلح تأكيد المدح بما يشبه الذم في كلتا الحالتين.

٣- لهذا الأسلوب البديعي أثر فاعل في إضفاء المعنى البلاغي والجمالي على الخطاب النبوى الشريف ، وفي توصيل الغرض الديني الذي يعد من أهم مقاصد الحديث الشريف بل هو الغاية الأساسية من منظومته البلاغية المعجزة.

٤- تلاحم وتتداخل بعض الفنون البديعية الأخري مع أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم في بعض الشواهد، وهذا يدل على عفوية مجيء هذه الفنون

فضلا عن استدعاء المعنى لهذه الأساليب لما لها من قيمة صوتية ودلالية في ذلك الشاهد.

٥- طرائق تأكيد المدح والذم بما يشبه ضدهما هي:١: الاستثناء بـ"إلا" وبـ"غير" و"سوى" و"بيد أن" ،٢:الاستدراك بـ " لكن " و"بل"

٦ – تأكيد الوصف بما يشبه نقيضه إذا كان مقام الكلام فى غير المدح والذم كما فى حديثى الواصل ووصف المسكين فى السنة النبوية المطهرة وبيان مدلوله .

وبعد: فلعلى قد أصبت فيما عرضت ،والله سأل أن ينفع بهذا الجهد ،وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ،وحجة لنا لا علينا ، كما أسأله سبحانه أن يلهمنا دائما القول النافع ،والعمل الصالح ،وحسن الخاتمة ،واستغفره سبحانه مما طغى به القلم ،وأزل به الفكر ،إنه ولى ذلك والقادر عليه ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

****

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، القاهرة ، ١٣٦٨ه
- الأدب النبوي – د/ محمد عبد العزيز الخولي – مطبعة الاستقامة بالقاهرة ط٢ سنة ١٣٥٦ هـ سنة ١٩٣٧ م ـ
- ارشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، (ت٩٢٣هـ) ، ط٥ ، المطبعة المصرية ببولاق ، القاهرة.
- اساس البلاغة ، محمد بن عمر الزمخشري ، (ت ٥٣٨هـ)،دار صادر ، بيروت ، ١٦٦٥م
- أسرار البلاغة – للإمام عبد القاهر الجرجاني – تحقيق / محمد محمود شاكر مطبعة مدني بالقاهرة ط ١ سنة ١٤١٢ هـ سنة ١٩٩١ م –.
- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ط٢ ، الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣م.
- الألوان البديعية – أ. د /حمزة الدمرداش زغلول – دار الطباعة المحمدية بالأظهر ط١ سنة ١٤٠١ هـ سنة ١٩٨٠ م
- انوار الربيع في انواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) تحقيق : شاكر هادي شكر ، النجف الاشرف ، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة – للخطيب القزوينى ت سنة ٧٣٩ هـ – تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجى, طبعة دار الجيل – بيروت ط٣ (أ) طبعة الكليات الأزهرية ط ٣
- الإيضاح مع البغية – عبد المتعال الصعيدي – مكتبة الآداب سنة ١٩٩١م 1968البيان و التبيين –للجاحظ –تحقيق ا فوزي عطوى –دار صعب – بيروت عام

- البيان النبوي – محمد رجب البيومى دار الوفاء للطباعة والنشر و التوزيع
- تحرير التحبير- لابن أبى الإصبع –تحقيق دأحنفي محمد شـرف طبعـة لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة عام ١٣٥٣هـ.
-الترغيب والترهيب –للإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القـوى المنذري تحقيق كل من –محيى الدين ديب مستو –سمير احمد عطـا – يوسف على بدوي دار ابن كثير –دمشق –بيروت –ط٣ عام ١٤٢٠ه – عام ١٩٩٩م.
- حاشية الدسوقى على شرح السعد ضمن شروح التلخـيص –دار الكتـب العلمية –بيروت –لبنان .
- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية –دأعز الـدين السـيد –دار الطباعة المحمدية بالأزهر عام ١٩٧٣م
- دلائل الإعجاز – للإمام عبد القاهر الجرجانى – تحقيق أمحمود محمـد شاكر – مطبعة مدني بالقاهرة –ط٣ عام ١٤١٣هـ عام ١٩٩٢م
- الرسول واعظاً بليغا – أ- د\ عبد القادر حسين – مكتبة أوزيريس
- روح المعاني –للألوسي –تحقيق\على عبد الباري عطية – دار الكتـب العلمية –بيروت –ط١ عام ١٤١٥هـ عام ١٩٩٤م
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت –لبنـان عام ١٩٨٢م سنن ابى داود – للامام الحفـاظ ابـى داود سـليمان ابـن الاشعث الحيتاني ت سنة ٢٧٥ هـ – دار الحديث القاهرة سنة ١٤٠٨ هـ سنة ١٩٨٨ م
- سنن الترمذى – للإمام / محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى . ت سنة ٢٧٩ تححقيق الشيخ / هشام السمير البخاري – دار إحياء التراث العربي سنة ١٤١٥ هـ سنة ١٩٩٥ مـ
ـ شرح أبن عقيل علي ألفية أبن مالك – تحقيق / د/ محمد قنـاوى – د / محمد خليفة – المكتبة الازهرية لاحياء التراث العربي.

- صحيح البخاري – للإمام محمد بن إسماعيل البخاري – ضبطه ورقم أحاديثه / محمد عبد القادر أحمد عطا – دار التقوى للتراث ط١ سنة ١٤٢١ هـ سنة ٢٠٠١ م
- صحيح البخاري بشرح الكرمانى – دار أحياء التراث العربي ط ٢ سنة ١٤٠١ هـ سنة ١٩٨١ م
- صحيح مسلم – للإمام مسلم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- صحيح مسلم بشرح النووي – تحقيق / عبد المعطي أمين – المكتبة القيمة دار الغد العربي – ط ١ سنة ١٤٠٩ هـ سنة ١٩٨٨ م
- الصناعين – أبي هلال العسكري – تحقيق / د / مفيد قمحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط٣ سنة ١٤٠٩ هـ سنة ١٩٨٩ م.
- الطراز – العلوي اليمني – تحقيق / محمد عبد السلام شاهين / طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١ سنة ١٤١٥ هـ سنة ١٩٩٥ م
- عروس الأفراح – بهاء الدين السبكى – ضمن شروح التلخيص – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
- علوم البلاغة – المعاني – البيان – البديع – / للمراغى / تحقيق / أمين النواوى – المكتبة المحمودية التجارية ط ٦.
- العمدة – لأبن رشيق – تحقيق / محمد محي عبد الحميد – طبعة دار الجيل – بيروت لبنان ط٥ – سنة ١٤٠١ هـ سنة ١٩٨١ م .
- عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري – بدر الدين العيني ت سنة ٨٥٥ مطبعة مصطفى الحلبي ط ١ سنة ١٩٧٢ م سنة ١٣٩٢ هـ
- الفائق في غريب الحديث والأثر – للزمخشري . طبعة عيسى البابى الحلبي ط ٢ سنة ١٩٧٣ م.
- فتح الباري لشرح صحيح البخاري – لأبن حجر العسقلاني – مكتبة القاهرة سنة ١٩٧٨ م

- فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدى – للشيخ / عبد الله الشرقاوى مطبعة – مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٦٧ هـ سنة ١٩٤١ مـ .
- فن البلاغة – أ .د / عبد القادر حسين – عالم الكتب ط ٢ سنة ١٤٠٥ هـ سنة ١٩٨٤ مـ
- فن البديع – أ . د / عبد القادر حسين – دار الشروق سنة ١٩٩٨ م
- فيض الباري علي صحيح البخاري – للإمام محمد أنور الكشميري – مطبعة حجازي بالقاهرة ط ١ سنة ١٣٥٧ هـ سنة ١٩٣٨ م.

(أ) الكشاف – للزمخشري – المطبعة الشرقية ط ١ سنة ١٩٢٢ ,

(ب) الكشاف – للزمخشري – دار الفكر العربي للطباعة والنشر .

- كوثر المعاني الداري في كشف خبايا صحيح البخاري – محمد الشنقيطي مؤسسة الرسالة ط ١ سنة ١٤١٥ هـ سنة ١٩٩٥ مـ .

-لسان العرب – لأبن منظور– دار المعارف

- المثل السائر – لأبن الأثير – تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية سنة ١٩٩٥ مـ
- المجازات النبوية – الشريف الرضي – تحقيق / طه عبد الرؤف سعد / ط دار أحياء التراث العربي – ط ١ سنة ١٤١٧ هـ سنة ١٩٩٧ مـ .
- المختار من كنوز السنة – د / عبد الله دراز – دار الأنصار ط ٢ سنة ١٩٨٧ مـ
- معترك الأقران في إعجاز القرآن – جلال الدين السيوطي – تحقيق / علي محمد اليحاوي . دار الفكر العربي .
- مفتاح العلوم للسكاكى – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ سنة ١٩٨٧
- من بلاغة الحديث الشريف – د / عبد الفتاح لاشين – دار الفكر العربي سنة ١٩٩٩م

- من بلاغة النظم العربى د / عبد العزيز عرفة – عالم الكتب طٍ ٢ ســـنة ١٩٨٤م
- من خصائص البلاغية واللغوية فى أسلوب الحديث الشريف – دــ فتحية العقدة مطبعة الأمانة – طٍ ١ سنة ١٤١٤ هــ سنة ١٩٩٣ م
- وشى الربيع بألوان البديع – أ . د / عائشة حسين فريد دار القبـــاء ســـنة ١٩٩٦م